مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 08 عدد: 02 السنة 2022 E-ISSN:2588-2325

الحقل الأنثروبولوجي في الفضاء الاجتماعي: مقاربة مفاهيمية

The Anthropological Field in Social Sphere: a Conceptual Approach

صليحة بن سباع*، جامعة سطيف 2، bensebaasaliha@yahoo.fr

حليم عزاز، جامعة صفاقس تونس، halim.azzaz.socio@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/08/02 تاريخ القبول: 2022/02/09 تاريخ النشر: 2022/12/30

ملخص:

تهدف الدراســة الى تناول البنية المفاهيمية للحقل الانثروبولوجي في الفضــاء الاجتماعي، اذ يحتوي هذا الحقل على الكثير من الفروع التي تختلف باختلاف الموضــوعات التي تتناولها وتعالجها على مر المراحل التاريخية، ولقد تطورت هذه الموضــوعات مع تطور المجالات المعرفية من البدايات الأولى ومن المجتمع البسيط الى المجتمع المعقد الى مجتمع المعرفة، ومن خلال هذا المقال سنحاول رصد وتتبع أهم انتاجات الأنثروبولوجيا من الناحية التنظيرية والميدانية وأهم التيارات والمدارس التي ســاهمت في بلورة و صياغة الشكل العام للبحث الانثربولوجي من دون أن نهمل أهم رواد هذا الحقل العلمي .

الكلمات المفتاحية: الحقل الانثروبولوجي، الفضاء الاجتماعي، المجتمع البسيط، المجتمع المعقد، مجتمع المعرفة.

Abstract:

The study aims to address the conceptual structure of the anthropological field in social sphere. This field encompasses a number of sub-disciplines that vary according to the topics they address and examine. During the historical stages in which these sub-disciplines have developed, from the earliest beginnings and simple society to complex society to knowledge society, these topics have also evolved. This article will attempt to monitor and track the most significant anthropological productions from both theoretical and field-based perspectives,

* المؤلف المرسل

as well as the most significant currents and schools that contributed to the crystallization and formulation of the general form of anthropological research, without ignoring the most significant pioneers in this scientific field.

Keywords: Anthropological Field, Social Sphere, Simple Society, Complex Society, Knowledge Society.

مقدمة:

الانثروبولوجيا تحتوي على الكثير من الفروع التي تختلف باختلاف الموضوعات التي تتناولها وتعالجها، ولقد تطورت هذه الموضوعات مع تطور المجالات المعرفية التي حاولت أن تعرفها، وأن تكون معرفة قائمة بذاتها من حيث الموضوع والقوانين و المنهج وتهدف الدراسات الأنثروبولوجية إلى تحديد خصائص التغيير الاجتماعي وعملياته، وإلى تحديث في الأبنية الاجتماعية، سواء ذات المعدل السريع في التغيير أو المعدل الموسط أو المعدل البطيئ، على الرغم من أن حقل الأنثروبولوجيا يدرس موضوعات عديدة في الوقت الراهن ومن أهم مجالاتها نذكر: الانثروبولوجيا الاجتماعية، القرابة، السياسة، الاقتصاد و الدين، إلا أن الملاحظ عموما على بداية ظهور هذا الحقل المعرفي أن العلماء الأوائل قد ركزوا على دراسة المجتمعات البدائية مثل الهنود الحمر الأمريكيين، وسكان استراليا الأصليين وشعوب جنوب المحيط الهادئ، والمجتمعات الإفريقية الاستوائية....الخ . وقد لاحظ براون أن الدراسات الخاصة بذلك الهدف، اهتمت بدراسة أثر الحروب الاستعمارية على النظام القبائلي في إفريقيا وآسيا، " ولكن التغيير الاجتماعي عملية معقدة، متعددة الجوانب ومختلفة العوامل، ولذلك، فهي أعمق في دراستها من حيث الجمع بين عناصر حضاريتين مختلفتين. فعملية التغيير أو التطور، تستلزم ظهور أشكال جديدة من الأنماط والأبنية الاجتماعية، كما تستلزم أيضا لانتقال من الأشكال البسيطة إلى الأشكال المركبة ".(الشماش عيسى، 2004 : 119)

ومن خلا ل هذا المقال سنحاول تسليط الضوء على البنية المفاهمية للحقل الانثربولوجي وكذلك أهم الاتجاهات النظرية في هذا الحقل المعرفي، وأهم الاسهامات في المجال النظري والتطبيقي والتحول المعرفي لهذا الحقل وامكانية تماشيه مع الفضاء الاجتماعي ومتطلبات مجتمع المعرفة .

1.حقل الانثروبولوجيا

1.1 مفهوم الانثربولوجيا

ترجع كلمة الأنثروبولوجيا Anthropologie أساسا إلى الكلمة يونانية الأصل وهي تتكون من لفظين الأول هو: Anthropo وتعني الإنسان والثانيlogie هو ويعني العلم أو الدراسة، وبهذا تعنى هذه

الكلمة الأجنبية في اللغة العربية علم الإنسان، فعلم الأنثروبولوجيا هو العلم الذي يختص بدراسة الإنسان وأعماله، أي كل منجزاته المادية والفكرية، أي الدراسة الشاملة للإنسان، ولهذا نقول أن الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان وأعماله شمولا على الإطلاق (محمد الجوهري وعلياء شكري، دس: 29) هذا عن المعنى الاشتقاقي أما المعنى الفلسفي العام: " الانثربولوجيا هي علم وصفي للإنسان. " (تيلوين مصطفى، 2011 : ص 19)

بما أن الانثربولوجيا هي دراسة الانسان التي تشمل الخصائص الاجتماعية، الحضارية، السيكولوجية ومن ناحية أخرى، علم اجتماعي، وتُضم الى العلوم الانسانية، وقد يتميز علماء الانثربولوجيا في الخطوط الرئيسية لدراساتهم، عن علماء الاجتماع و علماء النفس وعلماء الحيوان وعلماء الجغرافيا والتاريخ وغيرهم، غير أن المدى الواسع لاهتمام الباحثين الافراد يجعل من المستحيل رسم أي حدود واضحة بين هذه المبادئ المتعددة، من أهم مجالات البحث الحديث هو الذي يؤدي الى فوضى شديدة في الحدود بين المبادئ المتنوعة. (بيرتي ج بيلتو، 2010: 29-30)، اذا تهتم الانثروبولوجيا بدراسة الانسان وثقافته وتعني حسب مارغيت ميد (M .Mead) بدراسة خصائص النوع البشري في مختلف الأزمنة والأمكنة، ولاسيما الخصائص الانسانية، البيولوجية، الثقافية المحلية وتصفيتها وفق مناهج ومقاربات ومقاييس علمية موضوعية كمية وكيفية، فضلاً عن الاهتمام بالنظم والمؤسسات الاجتماعية والثقافية ودراسة الادراك العقلي عند الانسان، ورصد الأعراف والعادات والتقاليد والمعتقدات والاتصالات والمخترعات والتقنيات والمنتجات والصنائع التي ترتبط بالإنسان المحلي مقارنة بالإنسان المعاصر، بمعنى أن الانثروبولوجيا تهتم بدراسة الانسان البدائي القديم والانسان المعاصر تاريخيا، وتطوراً، مقارنة وتوصيفا ودراسة المجتمعات المغايرة للمجتمع الأوروبي من أجل فهمها وتصنيفها، والحكم عليها، مستعملة في ذلك العنف المادي من جهة، والعنف الرمزي من جهة أخرى .(حمداوي جميل 0 202 : ص 9-10)

أما من حيث الدلالة الاصطلاحية فهي العلم الذي يدرس الانسان باعتباره كائنا حياً، حين ذهب والتر تايلور Walter Taylor في تعريفه للانثروبولوجيا بأنها الدراسة البيو ثقافية المقارنة للإنسان مع الكائنات الحية الأخرى،كما عرفها ادوين ستلاند E duein Satherlans بأنها العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان وما يتلقاه من تعليم تنشئة .(رزاق رزيقة و زرزوقي جهيدة، 2020 :111)

1. 2 .التطور التاريخي للانثربولوجيا و علاقته بموضوعاتها : (تيلوين مصطفى، 2011 :20-22)

- ✓ في القرن السابع عشر كانت كلمة انثروبولوجيا تطلق في مقابل الكسمولوجيا و هو علم الكون و في مقابل الثيولوجيا (علم الالهيات)

- ✓ في نهاية القرن التاسع عشر اهتمت الأنثربولوجيا بدراسة الأجناس والأعراق البشرية المختلفة من حيث أصلها (على سبيل المثال ما هو أصل الهنود الحمر ؟ و تاريخها و حضارتها و قيمها، و من أنصار هذا التعريف الطبيب و العالم الفرنسي بروكا Broca و العالم الفرنسي الآخر كاتروفاج quatrefages .
- ✓ أما في عصرنا الحالي فان الانثروبولوجيا ترتبط عادة بفكرة الأجناس و الأعراق البشرية و الانسانية من حيث قيمها و ثقافتها، ومن أشهر ممثلي هذا التعريف الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي ستراوس Claude-Levy Strauss، وباعتبار هذا الأخير من أكبر الأنثربولوجيين في عالمنا المعاصر : ان الأنثروبولوجيا تهدف الى معرفة كلية و شمولية للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية و محيطه الجغرافي.

لقد ساهمت الأنثربولوجيا في منهجة الحياة و ازالة اللبس و الغموض عنها بشكل مباشر، اذ أصبحت بمثابة بوصلة يقيس على أساسها الانسان سلسلة حياته و متغيراته التي يعيش في ثناياها معتمدة بذلك على التداخل في الجذور مع العلوم الأخرى و التي شكلت انطلاقة نوعية لها، و لاشتقاق فروع معرفية أخرى تعنى بظاهرة معينة تهم الكيان الانساني، و رغم اتساع هذا العلم في المجتمعات التي انطلق منها و بات يمثل علامة فارقة الى جانب العلوم الأخرى، إلا أن اتساعه مازال بسيطا على مستوى المجتمع العربي، الأمر الذي يحتاج الى جهود كبيرة تساعد على توطين هذا العلم، و الافادة منه بشكل يؤدي الى فتح أفاق أوسع للتعرف على خفايا الشأن الانساني في الحياة .(مازن مرسول محمد، 2015: 107)

2.المدارس و التيارات الكبرى للأنثربولوجيا

عرفت الأنثربولوجيا منذ نشأتها عدة مدارس واتجاهات اختلفت في رؤيتها ومنهجيتها للمجتمعات موضوع دراستها وارتبطت كل مدرسة بشخصيات علمية أنثربولوجية بارزة وبالسياق العلمي والايديولوجي والسياسي والجغرافي الذي ظهرت فيه، فكل مدرسة وليدة نسق عام وسياق تاريخي محدد لا يمكن عزلها عنه من أجل فهمها.

ومن أهم المدارس الأنثروبولوجيا التي عرفتها الأنثروبولوجيا في تاريخها، منذ أواسط القرن التاسع عشر الى حدود الستينات من القرن العشرين: التطورية، الوظيفية والبنائية الوظيفية، الانتشارية، الثقافية والبنيوية، أضف اليها مدارس أخرى ظهرت في بداية النصف الثاني من القرن الماضي كالمدرسة الدينامية والماركسية والتأويلية .(بوبريك رحال،2014 : 45)

1.2 .النظرية التطورية

ويتزعمها ثلاثة أقطاب هم كالأتي : (تيلورر ادوارد برنت، مورغان هنري لويس، فريزر جيمس)، هذا بالإضافة الى العالم والانثربولوجي تايلور كقطب من أقطاب هذه النظرية، وقبل أن نقوم بتحليل هذه النظرية من الضروري تعريفها، هذه النظرية أو بالأحرى التسمية ارتبطت بعلم البيولوجيا عند " شارل داروين " الانجليزي " و " جان باتيست دولا مارك " الفرنسي، في القرن التاسع عشر، ولقد أثرت في الكثير من العلوم الانسانية كالفلسفة و الاثنولوجيا، وهذه النظرية تنطلق من فكرة أساسية وهي أن المجتمع يشبه العضوية الحية (الجسم الحي)دون أن تهمل هذه النظرية التطورات التي تحدث للمجتمع و هي بذلك تشبه الجسم الحي، (تيلوين مصطفى، 2011 : 76-77) ويرجع المؤرخون تاريخ نشأة الاتجاه التطوري الى الفترة الممتدة ما بين 1860 و 1900 مستلهمين في ذلك نتائج الدراسات الداروينية والتي يمكن تلخيصها في العناصر الثلاثة التالية :(سعيدي محمد، 2013 : 63)

1. ان جميع أشكال الحياة تتغير و تنتج أشكالاً جديدة باستمرار.
2. بعض هذه الأشكال أكثر ملائمة مع الظروف البيئية من غيرها .
3. ان الأشكال الأكثر ملائمة للبقاء و الحياة تبقى و تستمر، أما الأخرى فيقضي عليها .

ولعل ما يمكن الاشارة اليه، بصورة عامة أن الفكر الاجتماعي التطوري يرى أن جميع المجتمعات البشرية، نظمها الاجتماعية تتغير، وهي في تغيرها تمر بمراحل تطورية معينة، كل مرحلة منها تمثل انتقال المجتمع من حالة أقل رقيا الى حالة أكثر رقيا، بعد باخوفين ومان وماك لينن وتايلور ستعرف المدرسة التطورية أحد أبرز روادها وأحد المؤسسين الفعليين للأنثروبولوجيا، لويس مورغان Morgan .H Lewis الذي عاش في نيويورك والذي اهتم منذ دراسته الجامعية بشعوب الهنود الحمر خاصة الاركوا Iroquois التي خصص لهم كتابه الشهير " المجتمع البدائي "، الصادر سنة 1877 و من خلال بحث ميداني قام به سنة 1850 درس مورغان نظام القرابة واضعاً تصنيفاً للمؤسسات الاجتماعية يتجاوز حدود المجموعة المدروسة الى نظرة شاملة للتاريخ الاجتماعي للإنسانية، هكذا قسم تاريخ الانسانية الى ثلاث مراحل تطورية كبرى : التوحش، البربرية و الحضارة ...، ولقد اعتمدت التطورية على نظرية مبنية على الأنواع الطبيعية لتؤكد أنه انطلاقا من أصل بسيط تزداد كل مؤسسة تعقيدا بالمرور من مراحل مختلفة، فالتطور هو تقدم حسب أصحاب هذا الاتجاه، والمجتمع الغربي هو الشكل الأكثر تطوراً وأخر مر حلة وصلت اليها الانسانية في مسيرة تقدمها الطويلة، فالعائلة النووية والمسيحية وعدم تعدد الزوجات والملكية الخاصة والديمقراطية البرلمانية واقتصاد السوق كلها تشكل النمط المكتمل والأكثر تقدما لمؤسسات العائلي، الدين ، الملكية، التنظيم السياسي، الاقتصاد، هذا الخط الأحادي الذي يرسم مراحل

للتطور نجده عند آخرين بشكل مختلف، فكونت يتبنى ثلاث مراحل : اللاهوتية، الميتافيزيقية، الوضعية، أما كارل ماركس فينعكس بعده التطوري في تصنيفه لتطور المجتمع الانساني من مجتمع عبودي ثم فيودالي ثم رأسمالي فاشتراكي، (بوبريك رحال، 2014. : 53 -54)، ويصب هذا الاتجاه في فكرة أساسية هي أن الظواهر الاجتماعية والثقافية مهما كان اطارها وطبعها فهي دوماً وأبداً مرشحة لعملية التطور والتغير، وأن ظاهرتي التطور والتغير يغذيانها ويلهمانها الحياة والاستمرار على عكس الظواهر الاجتماعية والثقافية المنغلقة على نفسها وغير القابلة للتطور والتغير، فهي مرشحة الى الجمود والزوال والانقراض (سعيدي محمد، 2013 : 68) .

وبتأثير كل من بورا ومالينو فسكي وراد كليف براون في بريطانيا تأسست مدارس أنثروبولوجية جديدة تناسب النظريات التطورية ذات الخط الواحدة عداء ظاهراً وأخذت تلك المدارس الجديدة تركز جهودها على شرح وتوصيف كل نظام ثقافي أو اجتماعي بوصفه كياناً كلياً و وظيفياً له نسقه ومنطقه الداخلي الخاص، وهكذا اعتقد كثير من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ومازالوا يعتقدون أن فرض نظرية تطورية شاملة يمثل اعتداء على التاريخ الخاص بكل نظام ثقافي اجتماعي وعلى نظام المعاني وعلى الأحداث المتميزة التي خلقها هذا النظام، بيد أن الأنثروبولوجيا لم تتخلى كلية عن المذهب التطوري، فمازالت هناك أبحاث مستمرة وتقاليد نظرية تركز على التطور الثقافي الاجتماعي، وذلك في إطار الأنثروبولوجيا الماركسية والمذهب التطوري الثقافي في أمريكا وفي الايكولوجية الثقافية، ويوجد تياران فكريان رئيسيان في المذهب التطوري الأمريكي المعاصر، وهما : التطور ذو الخط الواحد الذي ارتبط ب (وايت) وتلاميذه، مثل سرفيس وساليز، والتطور المتعدد الخطوط الذي قدمه ستيوارد . (محمد الخطيب، 2008 : 47)

2 .2 .النظرية الوظيفية و البنائية الوظيفية

وهي تصور الظواهر الانسانية تصوراً نسقياً ووظيفياً، وتوجد عدة نظريات ووظيفية أشهرها نظرية مالينوفيسكي برانسلو والذي يؤكد من خلال نظريته الوظيفية ويركز على جانب تكيف المجتمع مع محيطه، أي أن الظواهر الاجتماعية الجزئية يؤدي وظائف جزئية معينة في إطار نسق من الظواهر لتؤسس أو تبني وظيفة كلية وهي تكيف المجتمع مع محيطه، فالمؤسسات الاجتماعية كالمدرسة أو الجامعة تؤدي وظيفة جزئية وهي التربية والتعليم، وهذه الوظائف تتكامل مع وظائف أخرى لتحقيق الوظيفة الكلية وهي تكيف المجتمع مع محيطه...، وبالإضافة الى مالينوفيسكي هناك شخصيات أخرى من بينها راد كليف براون وباريتو العالم الانثروبولوجي الايطالي، كذلك ألتوسير والفرنسي بيير بورديو، (تيلوين مصطفى، 2011 : 86-87) لقد كان التساؤل عن كيفية حدوث التغير وأسبابه يمثل نقطة اهتمام الباحثين أياً كانت اتجاهاتهم، يبدوا أن هناك فريقاً من الباحثين ركزوا جهودهم فضلا عن ذلك، الى

الارتباط المنطقي بين سمات الثقافة وأجزائها والأدوار التي تضطلع بها،جاء هؤلاء الباحثين ليشكلوا توجهاً نظرياً متمايزاً بتركيزهم على جوانب دون أخرى و ما ارتبط بذلك من اختلاف المفاهيم و اختبار الفروض و جمع البيانات، و قدمت لنا النظرية الوظيفية تحليلاً دقيقاً للثقافة التي تمثل شكلاً أو وصفاً متميزاً، لقد ركز أصحاب هذا الاتجاه على دراسة البناء و الوظيفة، ويرى الوظيفيون فيما يقول " هاموند أن فكرة التكامل الوظيفي تفترض أن أي جزء من أي نظام في المجتمع لا يمكن فهمه أو تقديره إلا من خلال النظر الى علاقته الوظيفية ببقية مكونات النظم في المجتمع ذاته، تماما كما لا نستطيع أن نفهم دور القلب إلا اذا أخذنا في الاعتبار علاقته البنائية الوظيفية بالأعضاء الأخرى للكائن الحي والتي تستهدف جميعاً بقاء هذا الكائن، " (محمد الخطيب، 2008 : 52) لقد احدث المفكر والانثربولوجي والسوسيولوجي الفرنسي بيير بورديو ثورة في المصطلحات الخاصة بالفضاء الاجتماعي، "حاول وضع مشروعه الاجتماعي في السياق الثقافي لسنوات الخمسينات و السينات و الذي لعب دوراً مهماً في تكوين مشروعه، هو تاريخ يجب أن يسمح في هذه الحالة بتجاوز عدد من القضايا غير المفهومة خصوصاً تلك التي تخلق مواجهات خيالية مع تقاليد مدرسية أو كتاب يوحي بفهم جو المرحلة، واذا كانت نظرية الممارسة وولدتها أو حضرتها حالة الحقل الفلسفي في فرنسا، يبقى مع أن العمل الميداني في الأجناسية وعلم الاجتماع أدى بيورديو الى صياغة المشاكل في حقل جديد .." (لويس بينتو، 2014 : 21)

3.2.النظرية الانتشارية

تبلور التيار الانتشاري من خلال ثلاث مدارس رئيسية : المدرسة الألمانية، المدرسة الانجليزية والمدرسة الأمريكية، واذا كانت التطورية تبلورت بشكل أساسي في كل من بريطانيا وأمريكا، فان الانتشارية ستظل لصيقة بألمانيا رغم أنها عرفت أقطابا من بلدان أخرى هذا البلد وان لم يعرف مكانة له في تاريخ نشأة الانثروبولوجيا، فان مواطنيه لعبوا دورا كبيراً في تأسيس هذا العلم بعد هجرتهم له، نذكر على سبيل المثال لا الحصر بواز، الذي كان له دور كبير في وضع اللبنات المؤسسة للأنثروبولوجيا وكون أجيالا من الأنثروبولوجين، (بوبريك رحال، 2014 : 60) المدرسة البريطانية يتزعمها اليوت سميث ووليام بيري وريفرز وترى أن هناك مركزا للحضارة هو مصر التي عرفت الزراعة، كما عرفت بناء الأهرامات، عبادة الشمس، ومنها انتقلت الى كثير من أنحاء العالم، فأهرامات المكسيك أو اليابان أو السودان أو العراق انما هي في الحقيقة تقليد للنموذج المصري، لقد ذهب هؤلاء الانتشاريين الى أن هذه الأبنية المعقدة لا يمكن اختراعها ذاتياً بواسطة هذه الشعوب، وأكدت هذه المجرسة أن التطور المتوازي المستقل نادر الحدوث لأن الناس ليسوا جميعاً مبتكرون بالفطرة وأنهم يميلون لاستعارة، ولقد امتدت أبحاث هؤلاء البريطانيون الى صناعة النسيج، الخزف، الفنون، نظم الحكم، الادارة والديانة ... الخ، وقد أيدت المدرسة الالمانية النمساوية هذه الآراء إلا أنها افترضت وجود دوائر ثقافية وأن ثمة مراكز حضارية متعددة وليس مركزاً

حضارياً و احداً وأن عناصر الثقافة المنتشرة تظل بقوتها و تأثيرها و جوهرها الأصلي بالقرب من المركز وتفقد قوتها كلما ابتعدت عنه وذلك بالاندماج أو التكيف مع العناصر الجديدة، (الخطيب محمد، 2008 : 49) ولم تكون المدرسة الانتشارية الانجليزية أكثر علمية من نظيرتها الجرمانية، بل أنها بالغت الى حد المغالاة في تقديم استنتاجات دون سند موضوعي حتى أنها سميت بالانتشارية القصوى... واذا كانت المدرسة الانتشارية البريطانية عرفت بكونها بالغت في تبنيها للانتشارية مما جعل تأثيرها ضعيفاً، فان المدرسة الأمريكية أعطت لهذا التيار بعداً أنثربولوجياً وأكثر قرباً من الواقع، لكونها انطلقت من حيز جغرافي محدد ولم تدخل في تعميمات كونية كما ذكرنا سابقا، لم تستطيع الانتشارية أن تؤثر بقوة على مسار الانثروبولوجيا فخفقت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فهي رغم مساهمتها على المستوى المعرفي خاصة في نقدها لمفهوم العرق وتبنيها مبدأ التثاقف بين المجتمعات والتلاقح والتواصل بين الشعوب، حدد من قدرات الانسان الابداعية فكل الثقافات بالنسبة لها، ما هي إلا تقليد لما سبقها، كما أنها تفتقد لما هو أصل فهي، فقط، استعارات من الجوار .(بوبريك رحال، 2014 : 65 -66)

4.2 . النظرية الثقافية

كانت دراسة الثقافة من خصوصيات الانثروبولوجيا منذ بدايتها، ورغم صعوبة اعطاء تعريف محدد وقار للثقافة (تم احصاء أزيد من 150 تعريفا لمفهوم الثقافة مع المدرسة الثقافية الأمريكية ثم تبنى تعريف اجرائي يحدد الثقافة في مجموعة المواقف والأفكار والسلوكيات المشتركة بين أفراد المجتمع، وأيضا النتائج المادية لهذه السلوكيات، تميزت المدرسة ذات النزعة الثقافية، مجسدة بالأعراف والمؤسسات دوراً محدداً و مؤثراً بقوة في تكوين شخصية الأفراد في مجتمع معين، فالعلاقة سببية بين الثقافة والشخصية، فأفراد مجتمع الواحد يشتركون في عدة قسمات ثقافية وبطبيعة تجاربهم وتنشئتهم الاجتماعية يصهرون ويشكلون شخصية قاعدية واحدة أو ما يسمى الشخصية النموذجية وهذا ما يؤدي الى تنوع الثقافات، (بوبريك رحال، 2014 : 79 -81) وكانت مشكلة تايلور في تعريف الثقافة هي أنه جمع قدراً مفرطاً من العناصر المتباينة غير المترابطة بعضها مع بعض، وكان قد ذكر أن أي ثقافة تشكل وحدة كاملة، إلا أن فكرته عن الوحدة الكاملة كانت عبارة عن قائمة من المسميات، ونتج عن ذلك أن أي ثقافة يمكن جردها، ولن يكون من المكن أبداً تحليلها، واعتقد كروبر وكلوكهون أنه يتعين التعامل مع الثقافة على أنها وحدة متكاملة وذات بنية وتتألف من أجزاء مترابطة، ولكن تايلور جمع عناصر كثيرة للغاية في الثقافة، وبالذات لم يميز بين الثقافة والتنظيم الاجتماعي، ولكن كان من المفضل تضييق نطاق التعريف لتمييز الثقافة عن المجتمع، ولتعريف الثقافة كأفكار وليس كأفعال أو كمؤسسات .(أدم كوبر، 2008 : 71)

5.2. النظرية البنيوية

لقد نشأت الانثروبولوجية البنوية في فرنسا على يد الباحث والأنثربولوجي كلود لبفي ستراوس الذي يدعى بشيخ البنيويين، فمفهوم البنية بنظر العالم المذكور يتكون من عناصر من شأن أي تحول يطرأ عليها يُحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى، لان البنية برأي كلود ليفي ستراوس ما هي إلا نسق أو نظام متكامل، (الخطيب محمد، 2008 : 54) لا شك أن العلاقات القائمة بين ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية تتسم اليوم بالانفتاح والاستفادة من نظريات ومناهج بعضها البعض أكثر من أي وقت مضى.

فالبنيوية التي كانت اتجاهاً فلسفياً قد ضربت مثلاً يحتذى به في هذا المجال، فهي قد جمعت بين مؤسسيها من هو عالم أنثروبولوجيا مثل ليفي ستراوس وعالم نفس مثل لا كان و لغوي و ناقد مثل بارت، ومفكر وفيلسوف مثل فوكو، ولغوي أخر مثل شومسكي، وقد انعكس هذا التعاون ايجابيا على البنيوية حيث لعبت جميع هذه الحقول من العلوم الاجتماعية والانسانية دوراً في اثبات المقولات والمفاهيم الاساسية التي أتى بها ليفي ستراوس باعتباره مؤسساً للبنيوية، أما من الناحية السلبية الضيقة، خاصة فيما يتعلق بنفوذ وسلطة البنيوية، فان العلوم الاجتماعية كل في مجال تخصصه قد وضع البنيوية موضع التطبيق، مما كشف عن اخفاقات ونجاحات هذه النظرية في جوانب جزئية،.. وقد ترتب على عمليات النقد واعادة الانتاج تلك أن اتيح للبنيوية فرصة لأخذها الى العمل الحقلي والدراسات الاثنوغرافية. (عبد الرحمان عبد الله، 1998: 90 - 91)

3. أهم اسهامات الحقل الانثربولوجي في الجانب النظري و الميداني

يعتبر الانثربولوجي البريطاني راد كليف براون Rade cliffe Bron Alfred R ginald والأكثر مفارقة في عصره لأنه كان يسافر كثيرا و كان بعيدا في عمله عن زملائه، وبقي يعمل في مجاله الى آخر لحظة من حياته، كان تلميذاً ل: ريفرس (Rivers)، طبيب و عالم و عالم نفس و أنثر وبولوجي، ولقد قام بأبحاث ميدانية في جزر أندمان (Andaman) بين عامي 1906 و 1908 و قام بأبحاث ميدانية كذلك على السكان الأصلين في أستراليا بين عامي 1910 و 1911 إلا أن هذا العمل لم يكن دقيقاً و امتاز بالسطحية، وتأثر فيما بعد ب " دور كايم " و بقي مخلصاً لمدرسته الاجتماعية وهذا ما جعله انطلاقاً من المدرسة الدوركايمية أن يعمق من أبحاثه حول الطوطمية وحول المشكلات الأبوية وهذا ما كان يتناقض مع اهتمامات أستاذه ريفرس، فلماذا هذا التناقض ؟

ان دور كايم يقترب في أبحاثه الاجتماعية من المدرسة البنيوية، وهذا ما يتناقض مع المدرسة الوظيفية التي يعتبر بروان و ريفرس و احداً من زعمائه، واذا كان " ليفي ستراوس "، يرى أن البنية الاجتماعية مجردة (غير واقعية)، فإن راد كليف براون على العكس من ذلك يرى أنها متضمنة تضمناً

واقعياً في الحياة الواقعية من خلال العلاقات بين الأفراد وعلاقات ,الأفراد بالمؤسسات، وأن تدريسه للأنثروبولوجيا جعله وجها كبيرا من وجوه الأنثروبولوجيا العالمية (تيلوين مصطفى، 2011 : 90 -91)

لقد حدث رد فعل نتيجة الافراط النظري والمنهجي لهؤلاء الانتشاريين حمل لواءه فرانز بواز F/B oas والذي يعد بحق أحد مؤسسي الاتجاه التاريخي، ويسمى عادة منهج الخاصية التاريخية حيث يركز على جمع الحقائق عن طريق الثقافات والشعوب، ولقد رفض نظريات هؤلاء التطوريين والانتشاريين في نشأة الثقافة ورأى ضرورة التركيز على دراسة دينامية الثقافة وتفاعل الثقافات من خلال التحليل المقارن للأنماط الثقافية والتي ينبغي على الأنثربولوجين أن يعكفوا على دراستها والتركيز على جمع المادة الأثنوغرافية المحددة، والتي تعينهم على تحديد مسار الثقافة وتفاعلها والبعد عن التقييم في ضوء ما لدينا من معرفة عن الثقافة الغربية، ان دراسات F/B oas وتلاميذه قد أفادت و وجهت الأنظار الى ضرورة الاهتمام بالدراسات الحقلية المركزة والتي تفيد في دقائق و تفاصيل الحياة الثقافية، وانه من السابق لأوانه صياغة القوانين الكلية، ولكن هدفنا هو جمع أكبر قدر ممكن من المادة الاثنوغرافية وثيقة الصلة بالتباين الثقافي، ومن ثم يمكن الوصول فيما بعد الى القوانين التي نستهدفها (الخطيب محمد، 2008 : 50)، يستحيل على المرء أن يغطي جميع جوانب الوجود الانساني في نفس الوقت، لذلك يوجد عدد من التخصصات غير أن روح التخصص غالباً ما تحجب الجوانب الأخرى من الواقعة الاجتماعية فتترتب عليها تلك الآفات الفكرية المعروفة مثل الاختزالية Réductionnisme ، ونزعة السيطرة لدى التخصص الواحد، ويكون من شأنها أن تنال من كل سعي لفهم حقيقي للواقعة، ان الانثروبولوجيا التي ندعو اليها تتوخى أن تكون اذاً متعددة التخصصات تماما، و كما يقول مؤرخ العلوم ك .ليموج C.limoges، ان ما نطالب به ليس القضاء على التخصص، وإنما القضاء على الحواجز التي يضعها كل تخصص أمام غيره من التخصصات، كما نطالب بالإثراء المتبادل بين جميع التخصصات وبتعاونها من علم الاجتماع، اقتصاد، بيولوجيا، فلسفة، وما الى ذلك، اننا اذاً، نطالب بإمكانية الدخول في الشبكة (بالمعنى المعلوماتي) نستعملها متى شئنا، (جان فرنسوا شائلا، 2004 : 67) وفي سلسلة من الاوراق والبحوث في الحلقات الدراسية بدأ سابير وقلة من الانثربولوجيين الامريكيين في عشرينيات وثلاثينات هذا القرن العمل من أجل ادخال دراسة علم النفس في الانثربولوجيا الثقافية الى طبيب نفساني، ومن طلبة بواس مرغيت ميد التي أصبحت تهتم بالطب النفسي و علاقة الشخصية بالثقافة في عملها الميداني الأول بدأ بدراسة المشكلات النفسية للمراهقين بين الساموانيين في سلسلة من الحلقات الدراسية في ثلاثينات القرن العشرين في جامعة كولومبيا تعاون رالف لنتن الانثروبولوجي وابرام كاردنر (الطبيب النفسي)، في ايجاد منهج جديد للانثربولوجيا بمنحى سيكولوجي وقد صاغ كاردنر و لنتن فكرة الشخصية الأساسية لشعب معين هي نمط المزايا السيكولوجية المشتركة لدى جميع أو أغلب أفراد المجتمع نتيجة التشابهات في ممارسات تدريب

الأطفال، وتنعكس الشخصية الأساسية لمجتمع معين في مجالات كثيرة من التقاليد ولاسيما المعتقدات والممارسات الدينية والفن والميثو لوجيا والخيالات الشعبية .(بيرتي ج بيلتو، 2010 : 45 - 46)

فالملاحظ أن الحقل الأنثربولوجي أصبح اكثر مرونة في التعامل مع الظاهرة الانسانية وسعى جاهدا للنهل من العلوم الاجتماعية والانسانية دون مفاضلة بينهم، وهذا الامر جعل هذا الحقل بتماشيه مع متطلبات مجتمع المعرفة وبنية و ديناميكية المجتمع وتغيره بين الماضي والحاضر فسعى الى الدراسات الحقلية دون المغالاة في التعميم على عكس ما كان في السابق فالعلم الاجتماعي أو الانساني على العموم يتصف بخصوصية ونسبية الزمان والمكان .

خاتمة

ونستخلص من تتبع مسار تطور الانثروبولوجيا أنها ظهرت لتدرس الاختلاف، ثقافات الآخر... لذلك فهي علم الانفتاح على المجتمعات المغايرة واحترام الخصوصيات الثقافية والاعتراف بالقيم المختلفة عن الآنا بدون نظرة متعالية أو مركزية أو نظرة نمطية، وأهم خصوصيات الانثروبولوجيا في نظرنا أنها تساعد على تجاوز ثقافة الانا وتجعلها نسبية، فالأنماط الاجتماعية والقيم والمرجعيات الثقافية متعددة ويجب المحافظة على هذا التعدد لان فيه إثراء للإنسان في كينونته، فمن علم استعماري انتقلت الانثروبولوجيا إلى علم يخدم التنوير ويدافع عن الاختلاف ويسعى للتميز، ونتائجها على المجتمع الانساني بصفة عامة متناسية بخضوع الظاهرة الاجتماعية والانسانية لنسبية الزمان والمكان، وكذلك القيم والايديولوجيات والثقافات تختلف من مجتمع لأخر، الملاحظ أيضا أن مجتمع المعرفة وكذلك هلامية العلوم الاجتماعية والانسانية والتي تنهل منهما و التداخل الموجود بين هذه الحقول فرض على هذا الحقل المعرفي (الانثروبولوجيا) التعاون مع الحقول المعرفية الأخرى، ولم يعد منغلق بل أصبح منفتحاً ويخوض في المجتمع البدائي، الصناعي، المعلوماتي، الخدماتي، وحتى المجتمع الشبكي الذي فرضته علينا التقنية الحديثة، و نوجز أهم النتائج في النقاط التالية :

- ✓ الحقل الانثربولوجي هو حقل معرفي بنيوي طور نفسه بناءاً على تجارب وأبحاث حقلية فرضت عليه نوع من المرونة في دراسة الانسان.
- ✓ الفضاء الاجتماعي فرض على الحقل الانثربو ولوجي الانفتاح وامكانية التعاون والتساند الوظيفي مع الحقول الاخرى كالبيولوجيا، الاجتماع، الفلسفة، علم النفس، الأدب والفن.
- ✓ الدراسات الانثربولوجية ليست حكراً على المجتمعات البدائية وليست علم استعماري كما يشاع حتى وان استخدم هذا الحقل لأغراض سياسية في فترة من الفترات، ولكنه علم قائم بذاتية يدرس الانسان في الماضي والحاضر وحتى المستقل ينهل من كل الحقول المعرفية .

- ✓ الحقل الانثربولوجي هو نتيجة تراكم معرفي و تكامل ايديولوجي بين جميع الحضارات من الفراعنة الى المسلمين الى الهنود الحمر ,,,الخ .
- ✓ التداخل بين العلوم الاجتماعية والانسانية أكسب هذا الحقل العلمي نوعاً من التحرر فأصبح يخوض في كل المجالات المعرفية مما أكسبه صدقاً نظرياً وامبر يقياً.
- ✓ الحقل الانثربولوجي ليس حكرا على علماء الغرب فقط فقد خاض في هذا الحقل على سبيل المثال لا الحصر البيروني وابن خلدون وغيرهم من العلماء المسلمين .

قائمة المصادر والمراجع

أدم كوبر، (2008). الثقافة التفسير الأنثربولوجي ترجمة تراجي فتحي، الكويت (349)،عالم المعرفة سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب .

بوبريك رحال، (2014) .مدخل الى الأنثروبولوجيا . المغرب، دار أبي رقراق للطباعة و النشر .

بيرتي ج بيلتو، (2010).دراسة الانثربولوجيا المفهوم والتاريخ .ترجمة كاظم سعد الدين،بغداد،سلسلة كتب ثقافية يصدرها بيت الحكمة العراقي (24).

تليلوين مصطفى، (2011) .مدخل عام في الانثربولوجيا .، ط 1، لبنان، دار الفرابي .

جان فرنسوا شائلا، (2004) .العلوم الاجتماعية وادارة الأعمال دعوة من أجل اعتماد أنثروبولوجيا شاملة، ترجمة محمد هناد، الجزائر، دار القصبة للنشر .

حمداوي جميل، (2020) .الانثروبولوجيا والانثو لوجيا والانثنوغرافيا، المغرب، ط 1، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني .

الخطيب محمد.(2008) . الانثربولوجيا الاجتماعية، سوريا، دار علاء،ط2، الدين للنشر والتوزيبع.

رزاق رزيقة وزرزوقي جهيدة، (2020).قراءة في الأنثروبولوجيا الجنائية، مجلة انثروبولوجيا، مركز فاعلون للبحث في الأنثربولوجيا و العلوم الانسانية و الاجتماعية ، الصفحات (118-132).

سعيدي، محمد.(2013).الانثرو بولوجيا مفهومها و فروعها و اتجاهاتها، الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع.

عبد الرحمان عبد الله، (1998) . كلود كليفي ستراوس قراءة في الفكر الأنثربولوجي المعاصر . البحرين، الكتاب الشهري للمشروع الخيري، اصدار بيت القرآن .

مازن مرسول محمد، (2015).الأنثربولوجيا نحو أنسنة ممنهجة، مجلة انثروبولوجيا، مركز فاعلون للبحث في الأنثربولوجيا و العلوم الانسانية و الاجتماعية ، صفحات (106 -129).

محمد الجوهري وعلياء شكري، (دس) .مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا. مصر. د ط، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية.

عيسى الشماس، (2004)، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، سوريا، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

لويس بينتو، (2014) . نظرية العالم الاجتماعي عند بيير بورديو . ترجمة أمطوش محمد، الأردن، عالم الكتب الحديث .